تقديم الناشر

في مايو ٢٠١٠، أبحرت سفينة «الحرية» من تركيا، وعليها ناشطون مدنيون من مختلف أنحاء العالم، تحمل مؤنًا لأهالي غزة المحاصرين منذ سنوات، وتُبيِّن أنه لا يزال في العالم أناس أحرار يرفضون بربرية استباحة الآخر: استباحة أرضه، وماله، وحياته.. فخرجت عليهم القوات العسكرية الإسرائيلية، في ٣١ من الشهر نفسه، وقتلت حوالي عشرة منهم، وأصابت آخرين، وصادرت السفينة بما عليها... ولم يخرج من العالم «المتحضر» سوى قليل من الإدانات اللسانية.. ووقفت حكومات أمريكا وأوروبا الغربية صفًّا واحدًا أمام أي عمل فعال ضد إسرائيل، وبرر أحد قادة إسرائيل تلك الجريمة بأن إرسال المعونات الإنسانية لغزة هي عملية استفزازية...

قبل ذلك بعدة أشهر، شنت إسرائيل غزوة بربرية على غزة من ٢٧-١٢-٢٠٠٨ إلى ١٨-١-٢٠٠٩، قتلت فيها نحو ١٥٠٠ فلسطيني، معظمهم من المدنيين، أطفال ومسنين، وأصابت أضعاف ذلك العدد، وهدمت مئات المنشآت المدنية، ورأى العالم من شاشة «الجزيرة» كيف قصفت القوات الإسرائيلية سيارات الإسعاف؛ لتمنع إنقاذ المصابين، وعايش الأطباء المصريون، وغيرهم من مختلف أنحاء العالم، استخدام إسرائيل للأسلحة المحرمة دوليًّا في أجساد الضحايا.

وكالعادة، لم يصدر من العالم «المتحضر» سوى بعض الإدانات اللسانية... وكالعادة أيضًا وقفت حكومات أمريكا وأوروبا الغربية صفًّا واحدًا أمام أي عمل فعال ضد إسرائيل.

قبل ذلك، كانت هجمة إسرائيل البربرية على لبنان، صيف ٢٠٠٦؛ حيث قتلت وأصابت أضعاف ذلك، ودمرت مئات المنشآت المدنية. وكان رد فعل العالم «المتحضر» متميزًا في تلك

المرة... فقد عمي بصر الأمم المتحدة ... وثقل سمعها ... وانخرس لسانها... فقد ظن الرئيس الأمريكي، جورج دبليو بوش، أن إطالة زمن الحرب كفيل بالقضاء على حزب الله... ولكن الغزوة البربرية استمرت لمدة شهر... وصمد حزب الله، فيما انسحقت سمعة إسرائيل، وتعرى التحالف الإسرائيلي ـ الأمريكي ـ الأوروبي، وتعرى كذلك تواطؤ المتواطئين وتخاذل المتخاذلين... واضطرت أمريكا لأن تبعث الأسلحة الأكثر تطورًا لإسرائيل، حتى تنجز مهمتها... ولكن دون جدوى ... فانعقد مجلس الأمن ـ الذي استيقظ بعد حوالي شهر ـ ليطلب إيقاف الحرب، في سبيل إنقاذ ما تبقى من سمعة المجرمين والمشبوهين ...

وهكذا، تاريخ إسرائيل من قبل قيامها في ١٩٤٨، وحتى الآن ... استباحة الآخر... أرضه، وماله، ودمه... عشرات المذابح للمدنيين، على شاكلة دير ياسين ... وتهيئة المسرح لحزب الكتائب الماروني لذبح آلاف الفلسطينيين العزل في مخيمات صبرا وشاتيلا...

وقبل أن نتطرق إلى الأساس لذلك، ربما كان علينا أن نذكر القارئ بأن دولة إسرائيل احتفلت منذ بضع سنوات بمرور خمسين سنة على فضيحة لافون[1]، فكرمت الإرهابيين الذين أرسلتهم لتنفيذها في القاهرة، تكريم الأبطال.

وقبل ذلك، في فبراير ١٩٩٤، اقتحم الطبيب الإسرائيلي باروخ جولد شتاين مسجد الخليل في صلاة الفجر، وحصد برشاشه حوالي أربعين من المصلين، بإطلاق النار عليهم في ظهورهم.

وأيضًا، قامت دولة إسرائيل بتكريم البطل الشهيد جولد شتاين بجنازة عسكرية مهيبة، وبنت له المؤسسة الدينية ضريحًا يليق بمقام: شفيعنا عند الله: باروخ جولد شتاين.. وقال الشعب الإسرائيلي كلمته: « لقد شفى جولد شتاين غليلنا»[2].

كيف كان كل ذلك؟ ما هو الأساس الأيديولوچي الذي انبعثت منه كل تلك الجرائم؟

يكشف كتابنا الحالي عن جزء يسير من ذلك...

فالله خلق العالم كله من أجل اليهود...

---

(١) أرسلت إسرائيل بعضًا من أفراد المخابرات الإسرائيلية لتدمير بعض المنشآت الأمريكية في القاهرة سنة ١٩٥٤ لتخريب العلاقات المصرية ـ الأمريكية.

(٢) «الأصولية اليهودية في إسرائيل» إسرائيل شاحاك، نورتون ميزفينسكي، من منشورات مكتبة الشروق الدولية.

والله يتدارس التوارة مع حاخامات اليهود... وليس ذلك فحسب ... فقد يصحح الحاخامات لله مفهومه[1]، بل إن الله صارع نبيه يعقوب، ولما لم يقدر عليه، سأله أن يخلي سبيله[2]...

إذن، من حق اليهودي أن يقتل غير اليهودي... فالأخير شرير.. ليس لحياته قيمة... وعدمه أفضل... بل من حق اليهودي قتل الرُّضَع... فأولئك قد يكبرون ويصبحون أشرارًا، فالأفضل لهم وللعالم أن يقتلوهم في الرضاعة...

وبالطبع، يمكن قتل مدينة بأكملها.. أو حتى دولة بأكملها... فقد أساء بعض أفرادها لشعب الله المختار...

ليس هذا فقط، بل يمكن قتل الشهود أيضًا حتى لا يتكلموا عما شاهدوه...

هذا الكتاب، وأمثاله وأكثر، يُدَرَّس في إسرائيل... ولكن العالم «المتحضر» يقول إن آيات القرآن تدعو للعنف والقتل ورفض الآخر...

وإليك عزيزي القارئ بعض آيات «العهد القديم»، التي لا يراها العالم «المتحضر» الذي يتحلى برؤية انتقائية بدرجة امتياز:

جاء تحت عنوان **شرائع حصار وفتح المدن البعيدة:**

«وحين تتقدمون لمحاربة مدينة فادعوها للصلح أولا. فإن أجابتكم إلى الصلح واستسلمت لكم، فكل الشعب الساكن فيها يصبح عبيدًا لكم. وإن أبت الصلح وحاربتكم فحاصروها، فإذا أسقطها الرب إلهكم في أيديكم، فاقتلوا جميع ذكورها بحد السيف. وأما النساء والأطفال والبهائم، وكل ما في المدينة من أسلاب، فاغنموها لأنفسكم، وتمتعوا بغنائم أعدائكم التي وهبها الرب إلهكم لكم. هكذا تفعلون بكل المدن النائية عنكم التي ليست من مدن الأمم القاطنة هنا».

وجاء تحت عنوان **شرائع حصار وفتح أرض الموعد:**

«أما مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثًا فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها، كمدن الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين

(١) تاريخ الكتاب المقدس: كارين أرمسترونج، من منشورات مكتبة الشروق الدولية.
(٢) سفر التكوين الإصحاح ٣٢ الآيات: ٢٢ ـ ٢٩ تحت عنوان: يعقوب يصارع في فنيئيل.

واليبوسيين، كما أمركم الرب إلهكم، لكي لا يعلموكم رجاساتهم التي مارسوها في عبادة آلهتهم، فتخطوا وراءهم وتخطئوا إلى الرب إلهكم» ـ [سفر التثنية الإصحاح ٢٠: ١٠-١٨].

وجاء تحت عنوان **تطهير المحاربين وقتل النساء الأسيرات:**

« فخرج موسى وألعازار وكل قادة إسرائيل لاستقبالهم إلى خارج المخيم، فأبدى موسى سخطه على قادة الجيش من رؤساء الألوف ورؤساء المئات القادمين من الحرب، وقال لهم: (لماذا استحييتم النساء؟ إنهن باتباعهن نصيحة بلعام أغوين بني إسرائيل لعبادة فغور، وكن سبب خيانة للرب، فتفشى الوبأ في جماعة الرب. فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال، واقتلوا أيضًا كل امرأة ضاجعت رجلًا، ولكن استحيوا لكم كل عذراء لم تضاجع رجلًا. وأما أنتم فامكثوا خارج المخيم سبعة أيام، وعلى كل من قتل نفسًا، ومن لمس قتيلًا أن يتطهر في اليوم الثالث، وفي اليوم السابع» ـ [سفر العدد الإصحاح ٣١: ١٣-١٩].

وجاء في **مزامير داود:**

«أما أنا فقد مسحت ملكي وأجلسته على صهيون جبلي المقدس...

.. وها أنا أعلن ما قضى به الرب: قال لي الرب: أنت ابني.. أنا اليوم ولدتك.. اطلب مني فأعطيك الأمم ميراثًا، وأقاصي الأراضي ملكًا لك.. فتكسرهم بقضيب من حديد، وتحطمهم كآنية الفخار» ـ المزمور الثاني.

وجاء في **سفر اللاويين:**

«لا تطغ بتسلطك، بل اتق إلهك، وليكن عبيدكم وإماؤكم من الشعوب التي حولكم، منها تقتنون عبيدا وإماء، وكذلك من أبناء المستوطنين النازلين عندكم».

[الإصحاح ٢٥: ٤٣-٤٤].

فالعهد القديم من الكتاب المقدس زاخر بالآيات التي تجعل العالم كله عبيدًا وميراثًا لشعب الله المختار.

وسيجد القارئ في كتابنا هذا فتاوى حاخامات ـ طيب الله ثراهم، كما يكرر الحاخامان المؤلفان ـ على شاكلة:

* لا يجب تصديق الأغيار في شيء.

* إنقاذ يهودي أهم من استقرار العالم.

* حياة الأغيار لا تساوي شيئًا.

* الأجنبي مباح لإسرائيل.

* كل من لا يقبل الالتزام بالوصايا السبع، يجوز السيطرة عليه واستغلاله لمصلحة اليهود.

* لا داعي للتدقيق فمن ساعد على أذى إسرائيل ومن لم يساعد.. فالقتل أولًا.

* من يسرق أرض إسرائيل يستحق القتل.

* قتل الرُّضع لئلا يكبروا ويصبحوا أشرارًا.

* قتل المدينة أو الدولة التي ساهم أفرادها في إلحاق الأذى بإسرائيل.

* جواز قتل كل الشهود على قتل إسرائيل للأغيار.

ولم يتوقف الأمر على قتل الأغيار، بل يجب استئصال الوشاة اليهود والمرتدين والملحدين، ودفعهم إلى القبر؛ لأنهم يبعدون الشعب من طريق الرب، مثل يسوع الناصري وتلامذته.

***

ونوجه عناية القارئ الكريم، أنه سيصادف في الفصول الثلاثة الأولى إرساء دعائم ما سيرد في الفصول من الرابع إلى السادس. حيث يتناول الفصل الأول حظر قتل غير اليهودي الملتزم بالوصايا السبع لأبناء نوح. بينما يناقش الفصل الثاني حكم غير اليهودي الذي لا يلتزم بهذه الوصايا. أما الفصل الثالث، فيتناول بشكل مفصل الحالات التي يتم فيها التضحية بالنفس عن ارتكاب أي ذنب. وتزخر الفصول الثلاثة بتوصيفات عدة بنى الكاتبان عليها ما يلي من أحكام.

أما الفصول من الرابع إلى السادس، فهي تقوم بالتركيز أكثر على استباحة دماء «الأغيار»، فيتحدث الفصل الرابع عن النفس اليهودية مقابل النفس غير اليهودية. والخامس عن قتل الأغيار في الحروب. بينما يتناول الفصل السادس أحكام القتل المتعمد للأبرياء في حالتي الحرب والسلم.

قد يرتبك القارئ مما يبدو له من تناقضات، بل وقد يندهش عندما يجد الخاخامين يقفزان بكل خفة ورشاقة على بعض النصوص في تجاهل واضح، ويركزان على نصوص أخرى متعارضة، بانتقائية مطلقة ومتميزة.

وجدير بالذكر أن كارين أرمسترونج أشارت لذلك وكررته وأكدته في كتابها: تاريخ الكتاب المقدس، فقد ظهر في اليهودية: «يهودية الحاخامات»، وهي كما ينطق الاسم ديانة تتمحور حول دراسات الحاخامات التلمودية، وهي كثيرًا ما تتعارض مع نصوص الكتاب المقدس.

وأخيرًا... ما جاء في هذا الكتاب الدراسي من استباحة الآخر ـ حتى الرُّضع ـ تمارسه إسرائيل منذ بضعة عقود، ولكن العالم «المتحضر» لا يهتم، بل هو يمد إسرائيل بالسلاح والمال والتأييد والعون السياسي والإعلامي!

ولكن أين ذهب العالم العربي؟ وماذا ينتظر؟! أن يستسلم وينقسم على نفسه ويتفتت تنفيذًا للمشروع الصهيوني، وينتهي أمره عبدًا لصهيون؟

عادل المعلم

مقدمة المترجمين

أكدت الحروب الإسرائيلية الأخيرة (سواء في لبنان أو قطاع غزة)، مجددًا، حقيقة الكيان الصهيوني الدموية والغاصبة، وعكست مدى العنف، والقسوة، والإرهاب الإسرائيلي باعتبارها جزءًا من البنية العقلية، والفكرية، والاجتماعية، والنفسية له، وكون تلك الصفات نسيجًا دينيًّا وثقافيًّا جعلت من العنف والإرهاب عقيدة باسم الدين.

تستند الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة في حروبها ومواجهاتها الدائمة للعرب، الفلسطينيين وغير الفلسطينيين، إلى فلسفة ونظريات الإرهاب الديني، المستقاة من التوراة، فثمة غايات دنيوية وسياسية غلّفها كتبة التوراة وكبار الحاخامات، والتي خرجت ونشرت في أمهات الكتب اليهودية، بعقائد أضفوا عليها صفة الدين، وأصبح أتباعها المؤمنون بها يمارسون الإبادة الجماعية والقتل على أنها طاعة وتقربًا للرب، عبر حقب تاريخية مختلفة.

ما الحاخامات اليهود الحاليون في إسرائيل إلا نموذج من تلك النماذج التي باتت تُسيِّر دفة الحكم في الكيان الصهيوني، وما خروج وصدور ونشر فتاوى قتل الأغيار «غير اليهود» إلا غيض من فيض من أقاويل وتصريحات لعدد من الحاخامات اليهود، والتي أضحت منهاجًا ضد الشعوب والأمم الأخرى، دون تحديد. فالنفس اليهودية لها الأفضلية عن غيرها من النفوس البشرية، وبالتالي يمكن للإسرائيلي قتل العربي، فلسطيني أو غير فلسطيني، بدم بارد؛ استنادًا إلى تلك الفتاوى.

انطلاقًا من تلك الفتاوى، وإحياء لفتاوى أخرى مماثلة، صدر في سبتمبر/ أيلول من عام ٢٠٠٩م، كتاب «شريعة الملك»، أو «توراة الملك»، أو «عقيدة الملك» بالعربية، و«تورات همِلخ» بالعبرية. يبيح، ويشرِّع، ويرخص قتل غير اليهود، أو «الأغيار»، وبخاصة الفلسطينيين، وهو كتاب لحاخامين يديران مدرسة دينية متشددة تدعى «يوسف ما يزال حيًّا»، في مستوطنة

يتسـهار القريبة من مدينة نابلس الفلسطينية، وهما الحاخام يتسحاق شابيرا، ومساعده الحاخام يوسيف إليتسور.

يعد الكتاب بمثابة المرشـد الهادي لمن يريد قتل «الأغيار»، بدم بارد، فهو ترخيص شرعي لقتل العرب، خاصة أن الحاخامين يستعرضان في الكتاب مئات الاقتباسات من التوراة والشريعة اليهودية، وأمهات الكتب الصادرة باللغة العبرية، كفتاوى دينية تبيح قتل «الأغيار»، مع الحذر من الدعوة، بشـكل صريح، إلى مخالفة القانون، لكن في الوقت نفسـه لا يخشـى الحاخامان من محاكمتهما؛ لأنه في هذه الحالة سيتعين محاكمة اثنين من كبار مفسري التوراة في القرون الوسطى، وهما الرامبام (الرابي موسى بن ميمون)، والرمبان (الرابي موسى بن نحمان)!

تبيـح صفحات الكتـاب قتل «الأغيـار»، دون الإشـارة الصريحة للعرب؛ حيث يسـتهله مؤلفـاه بتحريـم قتـل «الأغيار» لعديد مـن الأسـباب، منها تفادي العـداوة، وانتهـاك الدين، لكنهما سرعان ما ينتقلان لاستعراض عشرات الحالات التي يجوز فيها القتل؛ استنادًا لأحكام التـوراة، والشريعـة اليهوديـة، وعـشرات الكتب الدينية الأخـرى، التي تعد بمثابة إرشـادات وفتاوى دينية.

رأى الحاخامان، شابيرا وإليتسور، أنه بالإمكان قتل الأطفال الرُّضَّع أيضًا؛ لأنهم يمنعون تقدم اليهود نحو السـيطرة على العالم وإصلاحه! فأولئك الأطفال، عندما يكبرون، سيلحقون باليهـود ضررًا. وفي تلـك الحالة يشـدد المؤلفان على وجوب قتل الأطفـال الرُّضَّع، وليس قتل البالغـين من المدنيين الأبرياء فحسـب. فضـلًا عن حرص المؤلفين على التشـديد على الانتقام، اتباعًا لنظرية «العين بالعين والسن بالسن».

يُعيـد نشر عرض للكتـاب في صحيفة «معاريف» الإسرائيلية الصـادرة باللغة العبرية، في التاسـع من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني من عام ٢٠٠٩م، والضجة الإعلامية التي لازمت ذاك العرض، أصدر الحاخامان تعقيبًا، أكدا فيه على تشـبثهما بكل كلمة وردت فيه، وأشـارا لتقييم وتقدير كبار الحاخامات له، ولمسـاهمته في إثراء «الشرع اليهودي المعاصر»! حيث نال الكتاب رضا وتوصية محافل صهيونية، وذلك رغم إلقاء القبض على الحاخام شابيرا، في شهر سبتمبر/ أيلـول من عـام ٢٠١٠م، بتهمة إصـداره لكتاب يبيح قتـل «الأغيار»، لكنه مـا لبث أن خرج بعـد ثلاثـة أيام فقـط! مع التأكيد على أن فترة إلقاء القبض عليـه تزامنت مع شروع تل أبيب في الدخول في مفاوضات مباشرة مع الجانب الفلسطيني!

يحمل الكتاب المئات من الاختصارات، والمصطلحات، والتعبيرات الجديدة والصعبة على المتابع والمترجم للغة العبرية، لدرجة أنّ المؤلفين يستخدمان في بعض الأحيان المعنى العاشر للكلمة، وليس المعنى الأول أو الثاني لها، مما زاد من صعوبة متابعة الكتاب في البداية، خاصة أنه يشير إلى عشرات الكتب اليهودية الدينية، بدءًا من التوراة والأسفار الخمسة، وانتهاء بالحاخامات المعاصرين، مرورًا بالمشناه، والجمارا، وحاخامات العصور الوسطى، عبر عشرات الفتاوى القديمة التي يعيد الكاتبان إحياءها مرة أخرى، وقياس أحكام على أحكام أخرى كانت موجودة في الأساس. بالإضافة إلى أن الكتاب يستشهد بمئات الاقتباسات الآرامية، فضلًا عن أن لغة الكتاب لغة رمزية يصعب فهمها بسهولة؛ لأنها مكتوبة لغلاة اليمين الصهيوني! وهو ما عكفنا على توضيحه في الهوامش، التي زادت عن متن الكتاب في الكثير من الأحيان، ولذلك وضعنا هوامش كل فصل بعد نهايته.

واجهنا صعوبة كبيرة في الحصول على الكتاب؛ لأنه لم يوزع بواسطة شبكات بيع الكتب الكبرى في إسرائيل؛ حيث أوصى عدد من حاخامات اليمين المتطرف أتباعهم بشرائه من مدرسة «يوسف ما يزال حيًّا» فحسب، وهي المدرسة التي يتبعها المؤلفان، لكننا حصلنا على الكتاب بصعوبة، في شهر مارس/ آذار من عام ٢٠١٠م، وانتهينا من ترجمته مع مطلع شهر أكتوبر/ تشرين الأول المجيد، ولعل نصر أكتوبر قد شحذ من هممنا، وشد من أزرنا، لنقدم للقارئ العربي صورة حية لخطورة فتاوى جارنا الذي يسعى بعضنا لإرضائه والتحالف معه، ويسعى البعض الآخر للتهوين من خطره.

القاهرة في ٦ أكتوبر/ تشرين الثاني ٢٠١٠م

المترجمان

كلمة الرابي يتسحاق جينزبورج
الأب الروحي لمدرسة يوسف ما يزال حيًّا

بعون الله الرحمن الرحيم، في ٢٠٠٩م.

إلى تلاميذي الأحباء الأعزاء، والرابي «يتسحاق شابيرا[١]» والرابي «يوسيف يرمياهو إليتسور[٢]»، حفظهما الرب.

سعدت بمطالعة الجزء الأول من كتابكما «شريعة الملك»، وهو ثمرة جهد متواصل في معهد البحث التوراتي، الكائن بجانب مدرستنا الدينية اليهودية المقدسة «يوسف ما يزال حيًّا[٣]»، وهو الكتاب الذي يناقش قضايا مهمة تتعلق بالتفريق بين اليهودي وغير اليهودي.

وهي القضايا التي تمس بشدة وضعنا الحالي في أرض إسرائيل، التي يجب علينا الاستيلاء عليها من أيدي أعدائنا.

وحتى يتم هذا بإتقان، انطلاقًا من روح التوراة، ومن أجل إذكاء روح الشعب، يجب توضيح وجهة النظر التوراتية جيدًا في مثل هذه الأمور.

لا شك، كما يتضح لدينا في مقال القبالاه[٤] والهالاخاه[٥] في الجزء الأول من «مُلك إسرائيل מלכות ישראל[٦]»، في أن الوسيلة الحقيقية لإصلاح الواقع وفقًا للشريعة اليهودية، هي استلهام

---

(١) الرابي يتسحاق شابيرا הרב יצחק שפירא: هو أحد مؤلفي الكتاب، ويشغل منصب رئيس المدرسة الدينية اليهودية «يوسف ما يزال حيًّا».

(٢) الرابي يوسف يرمياهو إليتسور הרב יוסף ירמיהו אליצור: المؤلف الثاني للكتاب، وهو باحث في العهد القديم ومساعد الرابي شابيرا.

(٣) المدرسة الدينية اليهودية «يوسف ما يزال حيًّا עוד יוסף חי»: هي مدرسة دينية يهودية، أُقيمت في قبر سيدنا يوسف في نابلس منذ عشرين عامًا، ويعد الحاخام يتسحاق جينزبورج יצחק גינזבורג: هو أكبر معلمي المدرسة، وهي المدرسة التي صدر عنها هذا الكتاب.

(٤) القبالاه קבלה: هو علم المعتقدات الصوفية اليهودية.

(٥) الهالاخاه הלכה: هي الشريعة اليهودية.

(٦) مُلك إسرائيل מלכות ישראל: هو الموقع الرسمي للرابي يتسحاق جينزبورج יצחק גינזבורג على الشبكة العنكبوتية.

جوهر التوراة، بمساعدة القبالاه والحسيدية[1]، بشكل واقعي، وعندها سيصير الواقع ممهدًا لاستيعاب تعاليم الشريعة اليهودية الصارمة.

من المعلوم أنه ليس ثمة إنسان يمكنه العزم على السير في طريق الشريعة الحقة، دون أن يكون ضليعًا في فهم حكمة الحقيقة، ومن المعلوم أيضًا أن الرسالة الأساسية لجيلنا هي توضيح معاني التوراة المختلفة، حتى نصل في عصرنا هذا إلى شريعة واضحة لا لبس فيها، كما ورد في سفر ملوك أول[2].

بعون الله، ستواصلون أنتم ومعكم جميع تلاميذ المدرسة الدينية والمعهد التوراتي، استكمال دراسة الشريعة اليهودية من خلال التعمق في بواطن التوراة، وحينها ستتضح الأمور وتحل السعادة على الكون، كما حدث لحظة تلقي الشريعة في سيناء[3]، وسنجد أثر ذلك في الواقع، إلى حين حلول الخلاص الحقيقي والمتكامل.

«التوراة هي أساس كل شيء»؛ وبمناسبة صدور الكتاب، سنتعمق في بنية القضايا الواردة في التلمود[4]، التي تتناول القاعدة التي تم توضيحها باستفاضة في الفصل الأول، وهو ما يعد مصدرًا من الشريعة؛ حيث يحظر على اليهودي قتل غير اليهودي (وكنا قد أسهبنا بالفعل في هذا الشأن في الأقوال الشفاهية، وهناك المزيد بعون الله).

وردت قاعدة «كل شيء ورد ذكره في التوراة» أربع مرات في فصل «تعانيت תענית[5]» في التلمود، وعلينا، وفقًا لأسلوبنا في التناول، ضبط الأمور في مقابل الدرجات الأخلاقية العشرة في التصوف اليهودي[6] (التي يقابلها القوى البشرية وطرق عبادة الرب).

---

(١) الحسيدية חסידות: يستخدم المصطلح للإشارة إلى عدة فرق دينية في العصور القديمة والوسطى، ولكنه يستخدم في العصر الحديث للدلالة على الحركة الدينية الصوفية الحلولية، التي أسسها وتزعمها بعل شيم طوف، والتي بدأت في جنوب پولندا وقرى أوكرانيا في القرن الثامن عشر .

(٢) سفر ملوك أول מלכים א': وهو أحد أسفار كتاب الأنبياء في العهد القديم.

(٣) المقصود هو واقعة نزول الوصايا العشر على نبي الله موسى عليه السلام في سيناء.

(٤) التلمود תלמוד: هو ما يعتبره اليهود الشريعة الشفوية المكملة للشريعة المكتوبة، أي العهد القديم، وحسب الاعتقاد اليهودي فقد عاش التلمود لدى حكماء اليهود إلى أن تم تدوين نسختين منه: الأولى دُونت في فلسطين، والثانية في بابل. الكتاب ينقسم إلى ستة فصول رئيسية، ويتكون من المشناه، وهي المتن؛ والجمارا، وهي الحواشي؛ والبرايتا، وهي الشروح الإضافية.

(٥) فصل تعانيت מסכת תענית: هو أحد فصول كتاب «موعيد מועד» أحد أجزاء التلمود، ويناقش هذا الفصل القصير، نسبيًّا، أمورًا تخص الصيام.

(٦) تضم القبالاه، التصوف اليهودي، عشر منازل، أو عشر درجات هي: التاج، الحكمة، الإدراك، التقوى، الشجاعة، العظمة، الأبدية، الشكر، الأساس، المُلك.

ويبدو أنه يجب علينا بالتحديد ضبط الأمور حيال سبع درجات أخلاقية منها، والتي يكمن جزء منها في النفس البشرية (نقصد هنا الدرجات الأخلاقية التي تمس الواقع الخارجي، بهدف توضيحها وتعديلها بشكل عملي)، وثمة نوع من التخيل في العلاقة بين اليهود وبقية الشعوب، وكما ورد « لماذا ثمة شيء مباح لليهودي ومحرم على أبناء نوح»، (وهو ما لا نجده في الدرجات الأعلى الحسية والإدراكية، من أنه ليس ثمة أي تخيل في العلاقة بين اليهود وغير اليهود).

القضية التي وردت في (سنهدرين[1] ١:٥٩)، تتحدث عن قاعدة شرعية أساسية، وهي «كل شيء ورد ذكره في التوراة»، وقد جاءت هذه القاعدة لتبرير قاعدة أخرى وضعها الرابي «يوسي بار حنينا יוסי בר חנינא[2]»، والتي تخالف، لأول وهلة، رأي الجمارا[3]، والتي تقول إن «أي شريعة فُرضت على أبناء نوح، ولم يرد ذكرها مرة أخرى في سيناء، المقصود بها هم اليهود فحسب، وليس أبناء نوح بوجه عام!»

ورغم ما سبق، يتضح أن القاعدة الأساسية لا تتعارض مع أي قواعد أخرى؛ « لأن الرب ليس ببشر حتى يُغير من رأيه!»

إن الشرائع التي فُرضت على البشرية بشكل عام قبل تلقي الشريعة في سيناء، كان هدفها في الأساس تهذيب الأخلاق الكامنة في الإنسان، وهي في الأصل قد مُنحت بغرض انتقاء أصل النفس اليهودية، تحديدًا، ولتطبيق القاعدة الشرعية، التي تقول: «ويخلق من الفاسد عالِم» مثلما في حالة النبي «إبراهيم» الصالح ابن «تارح» الكافر، ويكفي هذا المثال لمن يمتلك الحكمة.

« ونحن لا نملك سوى شريعة «عرق النسا[4]» (وعلى عهدة رابي يهودا רבי יהודה[5])»،

---

(١) سنهدرين סנהדרין: هي أكبر هيئة قضائية مختصة بالنظر في الشئون الدينية، وترد كل التفاصيل بشأنها في الفصل الذي يحمل نفس الاسم، وهو الفصل الرابع من الكتاب الرابع من الكتب الستة التي تشكل التلمود.

(٢) الرابي يوسي بار حنينا רבי יוסי בר חנינא: أحد أهم الحكماء اليهود، وينتمي للجيل الثاني للأمورائيم (حكماء التلمود الذين عاصروا انتهاء تدوينه على يد الرابي يهودا هناسي).

(٣) الجمارا גמרא: تعني التكملة، يتكون التلمود من مكونين أساسيين: المشناه وهو المتن، والجمارا وهي نقاش حول المشناه، وبعد ذلك هناك البرايتا وهي الشروح الخارجية.

(٤) عرق النسا: هو اسم فريضة مصدرها واقعة وردت في سفر التكوين (٣٢: ٢٥ – ٣٣)، وتتحدث عن صراع خاضه نبي الله يعقوب مع «الرب» (أو الرب على هيئة ملاك في شكل إنسان)، وسمي بعدها يعقوب بإسرائيل، بعد أن انخلع حُقُّ فخذ يعقوب في مصارعته معه، لذلك لا يأكل بنو إسرائيل عرق النسا الذي على حُقِّ الفخذ إلى اليوم. والمقصود هو إحياء ذكرى الصراع الذي وقع بين الأب الروحي لليهود وبين الملاك الذي ظهر له.

(٥) الرابي يهودا רבי יהודה בר אילעאי: من حكماء التنائيم، وينتمي للجيل الرابع، عاش خلال النصف الثاني من القرن الثاني الميلادي.

إذ من المعروف أن شريعة «عرق النسا» قد فُرضت لإصلاح العيب الموجود في درجة الأبدية في القبالاه، وهو العيب الذي تسبب في وجوده ما حدث من عيسو[1] تجاه أخيه يعقوب، وإصلاحه النهائي جاء على يد النبي صموئيل[2].

الوصايا التي فُرضت من قبل على أبناء نوح، هي وصايا جاءت للكشف عن أبدية الشعب اليهودي وجذوره، وهو الشعب الذي كان موجودًا من قبل تلقي الشريعة، بل من قبل خلق الكون بأسره! فضلًا عن أنه كان موجودًا قبل الرغبة في خلق الكون، أي أن خلق اليهود كانت فكرة في خاطر الرب حتى قبل خلق الكون، وقد كان!

وكما قال كبار حسيديي حبد[3] «إن التفكير في الشعب اليهودي لدى الرب سبق كل شيء حتى التوراة»؛ ومن هنا، نفهم لماذا ثمة وصايا وردت قبل نزول التوراة في سيناء، رغم أن التزامنا بالوصايا اليوم هو من باب إحياء ذكرى نزول التوراة في سيناء، وعلى أي حال التزامنا بالوصايا نابع من كونها يهودية الأصل، وهو ما أكده الرابي موسى بن ميمون[4] في أكثر من موضع، وسيتم توضيحه فيما بعد أيضًا.

تناقش القضية التي وردت في (سنهدرين ٥٥: ١)، الفرق بين البهيمة التي عاشرها إنسان، والبهيمة التي يعبدها إنسان، ويقرر سنهدرين من باب أن «كل شيء ورد ذكره في التوراة»، أنه لا يُحتمل أن البهيمة التي يعبدها غير اليهودي تستحق القتل؛ لأنه ليس ثمة حكم ديني في الشريعة اليهودية يوصي بقتل البهيمة التي يعبدها يهودي.

تخالف هذه المسألة منزلة الشكر في القبالاه، وهي المنزلة التي قيل فيها «انقلب الشكر لله إلى شرك». تُعنى هذه المنزلة بشكر الرب على نعمه، وهو عكس ما يفعله عابد البقرة (الذي تكمن بداخله نفس بهيمية، أي أنه يُخضِع نفسه - لأن منزلة الشكر تساوي خضوع النفس - لطابعه البهيمي، ويتخذ من البقرة إلهًا، وهو تشويه كامل لفكرة شكر الرب).

---

(١) بحسب العهد القديم، أنجب إسحاق ولدين هما: عيسو، ويعقوب.

(٢) صموئيل שמואל: هو - بحسب العهد القديم - آخر قضاة بني إسرائيل، وهناك سفران باسمه هما: صموئيل الأول، وصموئيل الثاني.

(٣) حسيدية حباد: هي إحدى المنظمات الحسيدية الكبرى، ولها ممثلون في عدد من الدول التي بها سكان من اليهود. وكلمة حباد חב"ד: اختصار لثلاث كلمات هي: חוכמה حكمة، בינה فطنة، דעת رأي.

(٤) الرابي موسى بن ميمون רמב"ם: هو موسى بن ميمون بن عبيد الله القرطبي (١١٣٥ - ١٢٠٤م)، ولد في قرطبة ببلاد الأندلس، وُصف بأنه أهم شخصية يهودية في العصور الوسطى، كان بارزًا في الطب والعلوم والفلسفة، وينتمي لعائلة يهودية عريقة عاشت في مدينة فاس المغربية بعد انتقالها من قرطبة.

يأتي « الرابي شيشيت ששת[1] » في هذه القضية الدينية بالبرايتا[2] التي نصها: « الشجرة التي حُرم الأكل من ثمارها والشرب من مائها، وكُتب عليها ألا تصدر عنها رائحة؛ لأنها رمز للفساد، يجب أن تُحرق؛ لأن عطب أصاب الإنسان بسببها..»، وهو ما يفيد نفس المعنى السابق « انقلب الشكر لله إلى شرك».

ولأن «الشكر انقلب إلى شرك»، فإن حروف الكلمة تغيرت من הוד إلى דוה، ويقول الرابي عقيفا עקיבא[3] إن: «الشرك بالله مثله مثل الحيض يتسبب في نجاسة أي شيء».

وورد حول تحريم مضاجعة المرأة التي بلغها الحيض في التوراة «والرجل الذي يضاجع امرأة بلغها الحيض.... » (تثنية[4] ٢٠-١٨) . يوجد هنا علاقة بين الأنثى الموطوءة وبين تلك التي يتم عبادتها، وكل هذا يعد خللًا في منزلة الشكر.

تناقش القضية الواردة في (فصل حولين חולין ٣٩[5]: ١) تحريم أكل الحيوان الحي، وهو التحريم الذي يقابله على الجانب الآخر منزلة الأساس في القبالاه.

ولأول وهلة، يبدو أنه بالنسبة لهذه القضية تحديدًا، لا يمكننا تطبيق قاعدة «كل شيء ورد ذكره في التوراة»، ويتفق الرابي موسى بن ميمون مع هذا أيضًا.

وهذا هو الموضع الذي تتجلى فيه قدسية الشعب اليهودي عن حق؛ لأن منزلة الأساس الصوفية تتصل بالجانب العقلي في التفريق بين اليهودي وغير اليهودي بوضوح (وقد تم توضيح هذه النقطة بإسهاب في « مدراش أجاداه »[6]).

وهناك الختان، وهو العلامة المقدسة التي جاءت للتفريق بين اليهودي وغير اليهودي على المستوى الجسدي أيضًا، فجميع اليهود مختونون، بينما جميع الأغيار غُلف. وتلقائيًّا، لا يمكننا هنا التساؤل عن: كيف يُسمح بهذا لليهود ويُحظر على غيرهم، بل على العكس من

---

(١) هو الرابي شيشيت بنيينشتي רבי ששת בנבנישתי: أحد الحكماء اليهود في فترة الأندلس.

(٢) البرايتا ברייתא: المقصود بها أنها مجموعة شروح خارجية تم إضافتها للتلمود، وألفها مجموعة من التنائيم، وهم الحاخامات الذين عاصروا فترة الهيكل الثاني.

(٣) هو الرابي عقيفا بن يوسف רבי עקיבא בן .

(٤) سفر اللاويين وهو سفر تشريعي ضمن أسفار التوراة الخمسة.

(٥) فصل حولين מסכת חולין: هو الفصل الثالث من الباب الرابع في التلمود، وهو قوداشين קדשין، ويناقش هذا الفصل أحكام البهائم التي لا تُقدم كقرابين.

(٦) مدراش أجاداه מדרש אגדה: أحد كتب التفاسير اليهودية التي تضم القصص التعليمية، التي وردت في العهد القديم بهدف استخلاص الحكم والعبر.

ذلك، فإن الختان هو علامة مقدسة تشير إلى أن كل شيء مُباح لليهود، ومحظور على غيرهم، كما تم توضيح ذلك في «مدراش أجاداه».

تناقش القضية الواردة في (سنهدرين ٥٨: ٢) الجماع بطريقة شاذة، كما تناقش استمتاع المرأة بهذا الجماع أيضًا.

يتصل هذا بإصلاح منزلة المُلك في القبالاه، والمقصود هو التقدم من الصفوف الخلفية إلى الصفوف الأمامية، وهي سمة الملوك. ونلاحظ هنا الفرق في كيفية التعامل مع هذه الأمور بين الحكماء الذين عاشوا في القدس وقت الشتات، وبين حكماء بابل (نتحدث هنا عن الفرق بين أسلوب التلمود الأورشليمي[١]، وبين أسلوب التلمود البابلي[٢] في هذه النقطة، وراجع داخل الكتاب الملحوظة الواردة، في بداية الملحق الثاني للفصل الأول)، أي أن أرض إسرائيل تقف في المواجهة، بينما تعود بابل للصفوف الخلفية، وهو مثال كاف لأهل الحكمة.

أهم شيء هو أن يكون الرجل «ملتصقًا بزوجته»، أي التصاق أصل الذكورة بأصل الأنوثة، وهو الارتباط الرمزي بين التوراة واليهود في مكان طاهر ومقدس شهد نزول الوحي، وهو المكان الذي يجمع الشعب اليهودي كله معًا.

ونرى هنا، أيضًا، أن الرابي إليعيزر רבי אליעזר[٣]، والرابي حنينا רבי חנינא، من حكماء فلسطين إبان تدوين التلمود، يتفقان على أنه لا يمكن تطبيق قاعدة «كل شيء ورد ذكره في التوراة»؛ لأن هذه القاعدة لا تناسب أجواء فلسطين آنذاك.

إن أساس العناية الإلهية، كما يتجلى في أرض إسرائيل، يدور بالتحديد حول الشعب اليهودي المقدس (ومنهم تنتشر العناية الإلهية لتشمل بقية الأمم)، مع أهمية التنبيه على خصوصية الشعب اليهودي، الشعب المختار، الذي لا يصح مقارنته مع بقية الأغيار بأي شكل من الأشكال.

بوركتم ببركة التوراة...

الرابي يتسحاق جينزبورج

❁❁❁

(١) هو التلمود الذي دُوِّن في القدس.

(٢) هو التلمود الذي دُوِّن في بابل.

(٣) هو الرابي إليعيزر بن هوركانوس רב אליעזר בן הורקנוס: من كبار التنائيم، وينتمي للجيل الثاني إبان خراب الهيكل الثاني (دمر الهيكل الثاني عام ٧٠ ميلادية على يد الملك تيتوس القائد الروماني).

مقدمة المؤلفين

في ٢٧ من إبريل / نيسان ١٩٩١م، قال الرابي مليوفافيتش:

الشيء الوحيد الذي علينا جميعًا أن نفعله وأوصيكم به، هو أن تبذلوا ما في وسعكم، فمن الممكن استخلاص الهداية والإصلاح من بعض التفاصيل الصغيرة، أو تحويل الأمور الخربة إلى أدوات إصلاح وهداية، حتى يحضر المسيح المخلِّص [١] في الحال.

ثمة رغبة قوية للسعادة الدينية لدى الإنسان، إذ يمكن أن نتعرف إلى الحقائق من خلال أدوات الهداية والإصلاح في حدود الحقائق الكونية، وعلى سبيل المثال، فإن الإنسان يفتقر إلى تلك الأدوات، أي إلى كيفية تحويل الشيء الخرب إلى ما يبعث على السعادة الدينية، وهو ما نجده في الشريعة اليهودية مقارنة بالشعوب الأخرى، فثمة رغبة مقدسة وصارمة لدى اليهود كافة لإنقاذ وتحرير العالم وامتلاكه، وهي الرغبة التي تُولِّد المزيد من الأعمال المهمة والمقدسة.

لكن مثل هذه الرغبة بحاجة إلى أدوات إصلاح وهداية، وإرادة قوية، يكون لها مفعول السحر في الخروج بالمطلوب.

ونحن نعمل في مدرسة «يوسف ما يزال حيًّا» الدينية منذ سنوات طويلة؛ على توضيح أجزاء الشريعة المتعلقة بالقضايا الحياتية للإنسان، وعلاقة إسرائيل بالشعوب الأخرى، من خلال شرح أجزاء الهالاخوت [٢] ـ الشرائع ـ كمسار للتوراة، فضلاً عن مصادر دينية أخرى.

ونشكر الله الذي سمح لنا باستقاء العلم من مدرستنا الغالية، والشكر الجزيل للمعلم

(١) المسيح المخلّص: تعتبر فكرة المسيح الذي يأتي من نسل داود، هي إحدى الأسس للإيمان باليهودية، وقد ساهمت هذه الفكرة في زراعة الاستعلاء العنصري في الوجدان اليهودي على سائر البشر.

(٢) الهالاخوت: لُغويًّا جمع هالاخاه، ولكن المقصود هي الفقرات التشريعية أو الشرائع داخل الهالاخاه.

الرئيسي الحاخام يتسحاق جينزبورج في الجمعية الإسرائيلية لليديش [1]، الذي هو بمثابة أب روحي لنا.

تنقَّل الحاخام بين أجزاء كبيرة من الكتاب، وعقَّب لنا على الكثير من الظاهر والمخفي منه، وقد تم تصويب القضايا الأخرى المتباينة داخل الكتاب، بدون الإشارة إلى أمور ليست ذات علاقة، تتعلق باسم الرابي، وأضاف بعض الإضافات لم ترد في المتن نفسه.

كما نقدم الشكر للحاخام يوسف بلاي من الجمعية الإسرائيلية لليديش، الذي قام بالتجهيز المبدئي للكتاب، وأعطى الكثير من وقته لتوضيح الأمور الشائكة التي وردت في الكتاب.

يتسحاق شابيرا، ويوسيف يرمياهو إليتسور

المعهد التوراتي لمدرسة «يوسف ما يزال حيًّا»

ليستريح يوسف الصديق في مرقده، آمين.

❁❁❁

(١) اللغة اليديشية (יידיש، يديش/ אידיש، ايديش) (بالإنجليزية: Yiddish) لغة جرمانية يتحدث بها ما يقرب من ٣ ملايين شخص حول العالم، وأغلبيتهم يهود أشكناز. الاسم يديش هو يديشية لكلمة «يهودية» وقد تكون تقصير لـ«بيديش-تايتش» (דיש-טייטש) أو ألمانية-يهودية.

أصل اللغة اليديشية ليس معروفًا بالتحديد، ولكن بدأت هذه اللغة في حوالي القرن العاشر الميلادي بين اليهود في ألمانيا، ربما كلغة تجارية، ومع هروب اليهود إلى شرق أوروبا، وخصوصًا بولندا، وبعد الحروب الصليبية أخذت اللغة كلمات وقوانين من اللغات السلافية.

المضمون باختصار

في الكتاب الذي بين أيدينا نحن نحظر قتل غير اليهودي، في أوقات السلم وأوقات الحرب.

في الفصل الأول، نهتم بمصدر حظر قتل غير اليهودي، الذي لا يتعدى على الوصايا السبع لأبناء نوح.

في الفصل الثاني، نفسر حكم غير اليهودي الذي لا يلتزم بالوصايا السبع.

في الفصل الثالث، نطرح علاقة غير اليهودي الذي يتعرض لخطر ما، والطريق الوحيد لإنقاذه يتمثل في قتل غير يهودي آخر.

في الفصل الرابع، ننظر في مسألة حظر تضحية اليهودي بحياته لإنقاذ غير يهودي.

في الفصل الخامس، نناقش الحرب وفق ما تعلمناه من الفصول السابقة، لنرى أي فرضيات ممكنة في حالات مختلفة أثناء الحرب.

في الفصل السادس، نتحدث عن ضرورة إيذاء فئة بريئة في حالات محددة، وعن سبب السماح بذلك.

في نهاية الكتاب، نطرح نتائج كل فصل من الفصول السابقة باختصار، وهذه النتائج تحددت على أساس ترتيب الفصول.

(وفي الوقت نفسه تساعد على فهم الكتاب وترتيبه).

ونؤكد أنه بتطرقنا إلى مسألة الحرب في هذا الكتاب، فإننا نقصد خوض الحرب في مواجهة أعداء يلحقون بنا الأذى (مساعدة اليهودي من يد أعدائه).

ولن نتطرق إلى قضايا مثل ضرورة قتل كل ذكر (كما ورد في العهد القديم، وبشكل مبسط في حالة احتلالنا لمكان ما، وسيطرتنا عليه) قتل سبعة شعوب، أو عماليق، أو الدعوة للسلام، أو إلزام الإبقاء على إحدى الجهات مفتوحة، أو السماح بالخروج لحرب لم تفرض دينيًّا (سواء من ناحية الخطر الذي يتعرض له اليهود الذين يخوضون الحرب، أو من ناحية الرخصة بشن الحرب ضد غير اليهود)، وغيرها من قضايا.

تلك الأحكام بحاجة إلى المزيد من الإيضاح (الذي يعتمد بدرجة كبيرة على ما ورد في الكتاب)، وهو ما سيحدث لاحقًا بإذن الله.

❁❁❁